يفتر منه عن جبين نهار ، سل بالغمائم صوبها من كفه ، تنبيك عن بحر بها زخار
سل بالبروق صفوحها عن عزمه ، تخبرك عن امضى شبا وغرار ، قد احرز الشيم الخطير عندما
امضى العزائم صهوة الاخطار ، ان يلق ذو الاجرام صفحة صفحه ، فسح القبول له خطى الاعمار
يا من اذا اهبت نواسم حمده ، ازرت بعرف الروضة المعطار ، يا من اذا افترت مباسم بشره
وهب النفوس وهات في الاقتار ، يا من اذا طلعت شموس سعوده ، تعشى اشعتها قوى الابصار
فسما بوجهك في الضيا وانه ، تحمى تمد الشمس بالانوار ، فسما بعزمك في المضاء فانه
سيف تجرده يد الاقدار ، لسماح كفك كلما استوهبته ، يزري بغيث الديمة المدرار
لله حضرتك العلية لم تزل ، يلقى الغريب بها عصى التسيار ، كم من طريد نازح قذفت به
ايدي النوى في القفر رهن سفار ، بلغته ما شاءه من آماله ، فسلا عن الاوطان بالاوطار
صيرت بالاحسان دارك داره ، متعت بالحسنى وعقبى الدار ، والخلق تعلم انك الغوث الذي
يصغي عليها وافي الاستار ، كم دعوة لك في المحول مجابة ، اعزت جفون المزن باستعبار
جادت مجاري الدمع من قطر الندى ، فرعى الربيع لها حقوق الجار ، فاعاد وجه الارض طلقا مشرقا
متضاحكا بمباسم النوار ، يا من مآثره وفضل جهاده ، تحدى القطار بها الى الاقطار
حطت البلاد ومن حوته ثغورها ، وكفى بسعدك حاميا للدار ، فلرب بكر للفتوح خطبتها
بالمشرفية والقنا الخطار ، وعقيلة للكفر لما رعتها ، اخرست من ناقوسها المهذار
اذهبت من صفح الوجود كيانها ، ومحوتها الا من التذكار ، عمروا بها جنات عدن زخرفت
ثم انثنوا عنها ديار بوار ، صبحت منها روضة مطلولة ، فاعدتها الحيني موقد نار
واسود وجه الكفر من خزي متى ، ما احمر وجه الابيض البتار ، ولرب روض للقنا متاود
ناب الصهيل به عن الاطيار ، مهما حكت زهر الاسنة زهره ، حكت السيوف معاطف الانهار
متوقد لهب الحديد بجوه ، تصلى به الاعداء لفح اوار ، فبكل ملتفت صقال مشهر
قداح زند للحفيظة وار ، في كف اروع فوق نهد سابح ، متموج الاعطاف في الاحضار
من كل منخفر بلمحة بارق ، حمل السلاح به على طيار ، من اشهب كالصبح يطلع غرة
في مستهل العسكر الجرار ، او ادهم كالليل الا انه ، لم يرض بالجوزا حلى عذار
او احمر كالجمر يذكي شعلة ، وقد ارتمى من باسه بشرار ، او اشقر حلى الجمال اديمه
وكساه من زهو جلال نضار ، او اشهل راق العيون كانه ، غلس يخالط سدفة بنهار
شهب وشقر في الطراد كانها ، روض تفتح عن شقيق بهار ، عودتها ان ليس تقرب منهلا
حتى يخالط بالدم المهوار ، يا ايها الملك الذي ايامه ، غرر تلوح باوجه الاعصار
يهني لواءك ان جدك زاحف ، بلواء خير الخلق للكفار ، لا غرو ان فقت الملوك سيادة
اذ كان جدك سيد الانصار ، السابقون الاولون الى الهدى ، والمصطفون لنصرة المختار
تهللون اذا النزيل عراهم ، سفروا له عن اوجه الاقمار ، من كل وضاح الجبين اذا احتبى
تلقاه معصوما بتاج فخار ، قد لاث صبحا فوق بدر بعدما ، لبس المكارم وارتدى بوقار
فاسال ببدر عن مواقف باسهم ، فهموا ائتلافوا امره ببدار ، لهم العوالي عن معالي فخرها
نقل الرواة عوالي الاخبار ، واذا كتاب الله يتلو حمدهم ، اودى القصور عنه الاشعار
يا ابن الذين اذا تذوكر فخرهم ، فخروا بطيب ارومة ونجار ، حقا لقد اوضحت من آثارهم
لما اخذت لدينهم بالثار ، اصبحت وارث مجدهم وفخارهم ، ومشرف الاعصار والامصار
يا ما دوا في الفتح عن وهد المنى ، زدنا نجح الايراد والاصدار ، واهنا بفتح جاء يشمل الرضى
جذلان يرفل في حلى استبشار ، واليكها ملائى العقود وسامدة ، حيتك بالابكار من افكاري
تجري حداة العيس طيب حديثها ، يتعللون به على الاكوار ، ان مسهم لفح الهجير ابلهم
منه نسيم ثنا يك المعطار ، وتميل من اصغى لها فكانني ، عاطيته منها كؤوس عقار
قذفت بحور الفكر منها جواهرا ، لما وصفت انا ملا ابحار ، لا زلت للاسلام سترا كلما
ام الحجيج البيت ذا الاستار ، وبقيت يا بدر الهدى تجري بما ، شاءت علاك سوابق الاقدار

انتهت ه ولابن زمرك السابق قصيدة اخرى قالها بعد موت لسان الدين بن الخطيب وخلع السلطان ابي العباس احمد بن ابي سالم الذي قتل ابن الخطيب في دولته وكان سلطان الاندلس من ملا السلطان احمد المذكور ولذلك استعجل لرده لملكه فقال ابن زمرك وزير صاحب الاندلس بعد ابن الخطيب هذه القصيدة يمدح بها سلطانه اثنا وجهته لتجديد الدولة الاحمدية المذكورة وصدر عام تسعة وثمانين وسبعمائة

هبت النسيم على الرياض مع السحر ، فاستيقظت في الدوح اجفان الزهر ، ورمى القضيب دراهما من نوره
فاعتاض من طل الغمام بها درر ، نثر الازاهر بعد ما نظم الندى ، يا حسن ما نظم النسيم وما نثر
قم هاتها والجو ازهر باسما ، شمسا تحل في الزجاجة في قمر ، ان شجها بالماء كف مديرها
ترميه من شهب الحباب بها شرر ، نارية نورية من ضوئها ، يقدح السراج لنا اذا الليل اعتكر
لم يبق منها الدهر الا صبغة ، قد ارعشت في الكاس من ضعف الكبر ، من عهد كسرى لم يفض ختامها
اذ كان يدخر كنزها فيما ادخر ، كانت مذاب التبر فيما قد مضى ، فاحالها ذوب اللجين لمن نظر

جاد

جاد بها عرس الصبوح فانها ، بكر تحييها الكرام مع البكر ، وابلل بها ريق الاصيل عشية
والشمس من بعد الغروب على خطر ، محمرة مصفرة قد اظهرت ، خجل المريب بشوبه وجل الحذر
من كف شفاف يجدد نوره ، من جوهر لالاء بهجته بهر ، تهوى البدور كماله ونود ان
لو انبت منه المحاسن والغرر ، قد خط نون عذاره في خده ، قلماه من آس هناك ومن شعر
وانى عليك بها الكؤوس وربما ، يسقيك من كاس الفتور اذا فتر ، سكر الندامى من يديه ولحظه
سقاك بها ساقيا واذا نظر ، حيث العبيد مع الهدير تناغيا ، فالطير تعشق في الغصون بلا وتر
والقضب مالت للعناق كانما ، وقد الاحبة قادمين من السفر ، متلاعبات في الحلى ينوب في
يجنانهن الورد حسنا من خفر ، والنرجس المطلول يرنو نحوها ، بلواحظ دمع الندى منها انهمر
والنهر مصقول الحسام متى يرد ، درع الغدير مصفقا فيه صدر ، يجري على الحصباء وهي جواهر
نثرا من فوقها مهما عثر ، هل هذه ام روضة البشرى التي ، فيها لارباب البصائر معتبر
اراد من شغف بها وبهذه ، من منها فتن القلوب ومن سحر ، جادت بها الاجفان ملأ الضلوع
ملأ الخواطر والمسامع والبصر ، ومسافر في البحر ملا عنانه ، وافى مع الفتح المبين على قدر
قادته نحوك بالخطام كانه ، جمل يساق الى القياد وقد نفر ، واراه دين الله عزة اهله
بك يا امير القادرين اذا قدر ، يا فخر اندلس وعصمة اهلها ، للناس سر في اختصاصك قد ظهر
كم معضل من دائها عالجته ، فشفيت منه بالبدار وبالبدر ، ماذا عسى يصف البليغ خليفة
والله ما ايامه الا غرر ، ورثت هذا الفخر يا ملك الهدى ، من كل من اوى النبي ومن نصر
من شاء يعرف فخرهم وكمالهم ، فليتل وحي الله فيهم والسير ، ابناؤهم ابناء نصر بعدهم
ليس لهم دين الاله قد انتصر ، مولاي سعدك والصباح تشابها ، وكلاهما في الخافقين قد اشتهر
هذا وزير الوزب عبد الحق ، لم يلف غيرك في الشدائد من وزر ، كفر الذي اوليته من نعمة
واستحق العذاب لمن كفر ، ان لم يمت بالسيف مات بغيظه ، وصلى سعيرا للتاسف والفكر
ركب الفرار مطية ينجو بها ، فجرت به حتى استقر على سقر ، وكذا ابوه وكان منه حمامه
نزح وهو من الحياة على غرر ، بلغته والله اكبر شاهد ، ما شاء من وطر يعز ومن وطر
حتى اذا الحمد الذي اوليته ، لم تبق منه الحادثات ولم تذر ، في حاله والله اعظم عبرة
لله عبد في القضاء قد اعتبر ، فاصبر تنل امثالها في مثله ، ان العواقب في الامور لمن صبر
من حيث شئت سوغا ورد المنى ، فالله حسبك في الورود وفي الصدر ، لا زلت محروسا بعين كلاءة
ما دام عين الشمس تغشى من نظر ، ومنها وقد اضاف اليه من النغز لطوع ابدائه وجميع اقتداره فقال
والعود في كف النديم بسر ما ، تلقى لنا منه الانامل قد جهر ، غنى عليه الطير وهو بدوحه
والآن غنى فوقه ظبي اغر ، عود ثوى حجر القضيب رعى له ، ايام كانا في الرياض مع الشجر
لا سيما لما راى من ثغره ، زهرا راى الزهر من تلك الدرر ، ويظن ان عذاره من آسه
ويظن تفاح الخدود من الثمر ، يسبي القلوب بلفظه وبلحظه ، وافتتني بين الكلم والنظر
فقد غدا لانسنا او تاره ، كالظبي قيد في الكناس اذا نفر ، لم يبل قلبي قبل سمع غنائه
قد سلب العقول وما اعتذر ، جس القلوب بجسه اوتاره ، حتى كان قلوبنا بين الوتر
غنت له الحانه بجميع ما ، قد اودعت فيه القلوب من الفكر ، يا صاحب العود تحت بنانه
يغنيك نطق الجس فيه من الخبر ، اغني غناؤك من مداين يا ترى ، هل من لحاظك ام بنانك ذا السكر
باحت اناملك اللذان بكل ما ، كان المتيم في هواه قد ستر ، ومقاتل ما سل غير لحاظه
والرمح هز من القوام اذا خطر ، دانت له منا القلوب بطاعة ، والسيف يملك ربه مهما قهر

انتهى وسيلم ان شاء الله تعالى بترجمة ابن زمرك هذا في باب التلامذة ونشير هنالك الى كثير من احواله وكيفية قتله مع اولاده وخدمه بمراى ومسمع من اهله فكان الجزاء من جنس العمل وخاب منه الامل اذ لسان الدين قتل غيلة بليل خنقا على يد مخنقس في السجن فاسق واما ابن زمرك فقتل بالسيف جهارا وتناوشته سيوف مخدومه بين بناته ابداء للتشفي واظهارا وقتل معه من وجد من خدمه وابنائه واهمل الدهر وطالما ادناه ، وهكذا الحال في خدام الدول وذوي الملك ، انهم اقرب شي من الهلك ورحم الله من قال اياك وخدمة الملوك ، فانهم يستقلون في العقاب ضرب الرقاب ، ويستكثرون في الثواب رد الجواب ، انتهى رجع المكنا فيه من احوال لسان الدين بن الخطيب وكان رحمه الله قبل موته لما توفي السلطان ابو فارس عبد العزيز بن السلطان ابي الحسن المريني بتلمسان وتغلب على الامر الوزير ابو بكر بن غازي بن الكاس مبايعا لابن صغير السن من اولاد السلطان عبد العزيز الكائن يسمى باعمال الاحلام ، بمن بويع من ملوك الاسلام قبل احتلام ، ومراده بذلك تثبيت دولة الوزير الذي اراد ان يحفظ عهده وذمته ، وامتنع ان يمكن منه اهل الاندلس لما كن دا العائلة في الوزير بسبب مبايعته للصبي ونبذ اعاظم الامر على ان ذلك لا يجوز بالشرع وابدوا واعادوا في ذلك واسروا من كان امرهم حسوا في ارتغاء ومن جملة كلام لسان الدين في ذلك الكتاب قوله فتى نبي اهل الاندلس بانكار بيعة صبي صغير او نيابة مغلب او وزير فقدموا وصموا وخطروا وابرموا الانصاف فاعرضوا وما الموا وبما اسنوع لغيرهم ذموا انتهى وكان رحمه الله الف للسلطان عبد العزيز حين انحيازه اليه المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبية ،

Copyright King Saud University